كيفيّة فهم القرآن

١ـ أهميته :

يُفهم القرآن من خلال تفسير آياته ، حيث يتم الكشف المعنوي والحسي عن معاني القرآن ، وعن أحكامه ، ولذلك عرّف العلماء التفسير بأنه : علمٌ يُفهم به كتاب الله المنزّل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه واستخراج حِكَمه وأحكامه .

ورحم الله سعيد بن جبير عندما قال : من قرأ القرآن ، ثم لم يفسّره ، كان كالأعمى أو كالأعرابي! .

وبالتالي ، إن لم يعرف قارئ القرآن تفسيره وتأويله ، كان لا بدّ سيقع في أخطاء كثيرة في فهم القرآن .

ولهذا أشار العلماء إلى أهمية فهم القرآن وتفسيره ، وكما قال العلامة الأصبهاني : (. . . فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث ، أما من جهة الموضوع ، فلأن

موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، « **فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه** » ، وأما من جهة الغرض ، فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى ، وأما من جهة شدة الحاجة ، فلأن كل كمال ديني أو دنيوي ، عاجلٍ أو آجلٍ ، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى) .

وورد عن إياس بن معاوية رحمه الله أنه قال : (مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره ، كمثل قومٍ جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح ، فتداخلتهم روعة ، ولا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجلٍ جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب) .

وللتفسير أنواع ، أهمها : التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي .

٢ـ أقوم المناهج في فهم القرآن :

ذكر العلماء طائفة من الخطوات للوصول إلى أقوم

المناهج في فهم وتفسير القرآن، أهمها:

أ ـ الجمع بين الرواية والدراية : أي الجمع بين النقل والعقل كما فعل الطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) حيث الاعتماد على ما ورد من مأثورات وأقوال عن الرسول والصحابة والتابعين ، مع الاتكاء على الرأي .

ب ـ تفسير القرآن بالقرآن : وذلك لأن القرآن يأتي بأمرٍ ما ، في سورة بشكل مجمل ، ثم يفصّل الأمر في سورة ثانية ، ولذلك يجب ضم الآيات إلى بعضها ، حتى يتكامل فهم المعنى، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة : ١] حيث لم تبين الآية المعنى من كلمة ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

فجاء التفسير في سورة آخر ، مثلاً قوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء : ٢٣ـ٢٤] .

فتبين أن ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تشمل السموات والأرض وما بينهما .

ج ـ تفسير القرآن بصحيح السنّة : وذلك لأن السنة هي الشارحة للقرآن ، وهذه إحدى وظائف رسول الله ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] .

وقد فسر الرسول ﷺ بعض الآيات ، مثال ذلك تفسير الرسول لقوله تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [يونس : ٢٦] بأنها : النظر إلى وجه الله الكريم[1] .

د ـ الانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين : وذلك لكونهم أقرب الناس عهداً بالوحي ، واجتهاد المصطفى صلوات الله عليه .

هـ ـ الاستئناس بأسباب النزول : وخاصة الصحيح منه والموثّق .

و ـ تتبع الكلمة في القرآن الكريم ، حتى يكتمل المعنى ويُفهم السياق ، ومثله ما يُطلق عليه اليوم (التفسير الموضوعي للقرآن) ، فمثلاً كلمة الصبر ، أين وردت ،

---

(١) للتوسع يراجع : موسوعة التفسير قبل عهد التدوين ، للمؤلف ، ٤٧ـ١١٩ .

وكيف ، ومتى بحيث يتكون لدينا نظرة شاملة متكاملة عن موضوع الصبر .

ز ـ إبعاد القرآن الكريم وتفسيره عن كل ما يحمل الإنسان من أفكارٍ ومعتقدات ونحو ذلك .

٣ـ مزالق خطيرة في فهم القرآن :

حذّر العلماء من عدة مزالق في طريق فهم كتاب الله ، وهي من الخطورة بمكان ، أهمها :

أ ـ وضع النص القرآني في غير موضعه : وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه ، وقد يكون ذلك عن جهل وعجلة ، وقد يكون ذلك عن خُبث وفساد نيّة ! . .

مثال ذلك: من استدل على منع تعدد الزوجات بقوله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء : ١٢٩] ؛ فهذا نصّ صريح بحاجةٍ إلى إكمالٍ ، لا بتر ، وذلك لأن تكميل النص هو قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ [النساء : ١٢٩] .

ليكون المعنى : إن الميل العاطفي والذي لا يملكه

الإنسان هو ميل مغتفر ، مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : « **اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك** »[1] .

ب ـ الخروج عن إجماع الأمة ، وبالتالي فهي معصومة بمجموعها ، لا برأي واحد مثلاً .

وبالتالي فالأفضل لنا اليوم التمسك بما ورد في عهود الخيرية الأولى ، حيث هدي الصحابة الأكارم ، والتابعين ، ومن سار على دربهم من فقهاء وعلماء وعاملين .

ج ـ الاعتماد على الإسرائيليات : وخاصة المرويات في كتب التفسير والقصص ونحو ذلك .

د ـ الإعراض عن السنن والآثار : واتخاذ المنهج العقلي مع قبول الأحاديث الضعيفة والمكذوبة! .

هـ ـ التوسع في مسألة النسخ : بلا برهان ولا دليل ، علماً أن علماء علوم القرآن قد ضبطوا مسألة النسخ إلى حدٍّ عجيب! .

---

(١) سنن الترمذي (١١٤٠) .

و ـ تأويل النصوص دون الوصول إلى معناها الحقيقي! علماً أن العلماء قد اهتموا بالتأويل المنسجم مع النصوص التي يكمّل بعضها البعض!.

* * *